في خطب النبي في حجة الوداع (٢)

الخطبة الأولى :

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً كَرِيمًا، وَهَدَانَا إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ رَبُّهُ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، صلى الله عليه وسلم وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أما بعد: فأوصيكم ...

اللهُ عَظَّمَ قَدْرَجاهِ محمَّدٍ * وأَنالَهُ فَضْلاً لديْهِ عَظيمًا

في مُحْكَمِ التَنْزيلِ قالَ لِخَلْقِهِ * صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلّموا تَسْليمًا

عباد الله: بما أننا لازلنا حديثي عهد بموسم حجِّ بيتِ الله الحرام ، ولازالت تلك الربى والأماكن من المشاعر المقدسة نراها رأي العين ، فسنواصل الحديث عمَّا بدأنا به في جمعةِ ماضيةٍ من ذكرِ خطب النبيِّ صلى الله عليه وسلم في حَجةِ الوداعِ .

عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ: مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالمُهَاجِرُ: مَنْ هَجَرَ الخَطَايَا والذُّنُوبَ» أحمد.

ومما يستفادُ بيانُ مَن المؤمنُ ، ومَن المسلمُ، ومَن المجاهدُ، ومَن المهاجرُ، فكن منهم يا عبدَ اللهِ .

وعن بِشْرِ بْنِ سُحَيْمٍ ﷺ قال: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ فَقَالَ : «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا مُؤْمِنٌ» أحمد.

وعنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ يُنَادَى أَيَّامَ التَّشْرِيقِ: «أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ» أحمد.

وعَن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ وَأَوْسَ بْنَ الْحَدَثَانِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ فَنَادَى: «أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ» م.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِبَرَاءَةٍ، فَقَالَ: مَا كُنْتُمْ تُنَادُونَ؟ قَالَ: كُنَّا نُنَادِي: «أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ... » الحديث.

قَالَ أبو هريرة: «فَكُنْتُ أُنادِي حَتَّى صَحِلَ صَوْتِي» النسائي. وفيه فضلُ الإيمانِ و أنه من أسبابِ دخولِ الجنة .

وعن جابر ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «وقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابَ اللَّهِ، و أَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: «نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ»، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ

يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. م.

وعن عَمْرو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ مُرَّةَ قَالَ: حَدَّثَني رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قامَ فِينا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ مُخَضْرَمَةٍ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ يَوْمِكُمْ هَذَا؟...»، وذكر الحديث، وفيه: «أَلا وإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ أَنظُرُكُمْ، وَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلا وَقَدْ رَأَيْتُمُونِي وَسَمِعْتُمْ مِنِّي وَسَتُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ رِجَالًا أَوْ نَاسًا، وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّي آخَرُونَ، فأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» أحمد.

ومما يستفادُ: التأكيدُ على لزومِ الكتابِ والسنةِ والحذرِ من البدعِ ومن القولِ على النبيِّ ﷺ بلا علمٍ.

وعَنْ أُسَامَةَ بنِ شَرِيكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَقُولُ: «أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ» الطبراني. وفيه الحثُ على برِ الوالدينِ وصلةِ الأرحامِ.

وعن عمرو بنِ الأحوصِ ﷺ أنه شَهِدَ حَجَّةَ الوَدَاعِ مع رسولِ اللهِ ﷺ فحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليه وذَكَّرَ ووَعَظَ، وقال: يا أَيُّها الناسُ ! أَيُّ يومٍ أَحْرَمُ ؟ أَيُّ يومٍ أَحْرَمُ ؟ أَيُّ

يومٍ أَحْرَمُ ؟ قالوا: يومُ الحجِّ الأكبرِ، قال : فإن دماءَكم، وأموالَكم ، وأعراضَكم عليكم حرامٌ ، كحُرْمَةِ يومِكم هذا ، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا ، أَلَا لا يَجْنِي جانٍ إلا على نفسِه ، أَلَا ولا يَجْنِي والدٌ على ولدِه ، ولا وَلَدٌ على والدِه ، أَلَا إنَّ الشيطانَ قد أَيِسَ أن يُعْبَدَ في بلدِكم هذا أبدًا ، ولكن ستكونُ له طاعةٌ في بعضِ ما تَحْتَقِرون من أعمالِكم ، فيَرْضَى بها ، أَلَا إنَّ المسلمَ أَخُو المسلمِ ، فليس يَحِلُّ لمسلمٍ من أَخِيهِ شيءٌ إلا ما أَحَلَّ من نفسِه...الحديث بتمامه رواه الترمذي .

وفيه التحذيرُ من الجِنايةِ على الآخرينَ ، ومن الشيطانِ وكيدهِ . وفيه التأكيدُ على أخوةِ الدِّينِ وحفظِها.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ خَارِجَةَ ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِنًى وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَهِيَ تَقْصَعُ بِجِرَّتِهَا، وَلُعَابُهَا يَسِيلُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ، فَلَا تَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ، الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، أَلَا وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، رَغْبَةً عَنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، ولا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ ولا عَدْلٌ» رواه

أحمد وغيره . وفيه بيانُ أن اللهَ قَسمَ المواريثَ في كتابِه، والتحذيرُ من انتسابِ الرجلِ لغير أبِيه.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ وَ اقِفًا بِعَرَفاتٍ، فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ حِينَ تَدَلَّتْ مِثْلَ التُّرْسِ لِلْغُرُوبِ فَبَكَى وَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ عِنْدَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ وَقَفْتَ مَعِي مِرَارًا، لِمَ تَصْنَعُ هَذا؟ فَقَالَ: ذَكَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ وَ اقِفٌ بِمَكَانِي هذا فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْياكُمْ فِيما مَضَى مِنْهَا إِلا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ» أحمد. وفيه بيانُ قِصَرِ الدُّنيا، وسُرْعَةِ زوالِها، وعدمِ الاغترارِ بها، والاستعدادِ للآخرة.

وعن أسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما قال: أفاضَ رسولُ الله ﷺ مِن عرفةَ و أنا رديفُه فجعلَ يَكْبحُ راحلتَه؛ حتَّى إنَّ ذفراها ليكادُ يُصِيبُ قادمةَ الرَّحْلِ وهو يقول: «يا أيها الناسُ عليكم بالسَّكينةِ والوَقارِ، فإنَّ البرَّ ليسَ في إيضاعِ الإبلِ» النسائي. ولما تزاحم الناسُ عند الجمراتِ قال ﷺ : «يا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، إِذا رَمَيْتُمُ الْجَمْرَةَ، فَارْمُوهَا بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ» أحمد. وفيه الحثُ على السكينةِ.

وعن أسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما ، رَدِفْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ مِن عَرَفَاتٍ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ الشِّعْبَ الأيْسَرَ، الذي دُونَ المُزْدَلِفَةِ، أنَاخَ، فَبَالَ ثُمَّ جَاءَ،

فَصَبَبْتُ عليه الوَضُوءَ، فَتَوَضَّأَ وُضُوءًا خَفِيفًا، فَقُلتُ: الصَّلَاةُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: الصَّلَاةُ أمَامَكَ، فَرَكِبَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ حتَّى أتَى المُزْدَلِفَةَ فَصَلَّى، ثُمَّ رَدِفَ الفَضْلُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ جَمْعٍ .خ. وفيه: تذكيرُ الفاضل، وتواضعُ النبيِّ عليه الصلاةُ والسلام .

وعنِ ابنِ عُمَرَرضي الله عنهما قال: كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الوَداعِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَداعِ، فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ وَقَالَ: «ما بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ؛ أَنذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ -ثَلاثًا- إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَر، وَإِنَّهُ أَعْوَرُعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ»خ.م.

وفيه التحذيرُ من فتنةِ الدَّجالِ، وذِكْرُ صِفَتِه.

وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْجَعِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ: أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا» أحمد. وفيه التحذيرُ من كبائرِ الإثمِ. ألا فاتقوا الله عباد الله وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب. بارك

الخطبة الثانية

الحمد لله...أما بعد :

عن عبدِ اللهِ بنِ قرطٍ ﷺ قال: قُرِّبَ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ بدَناتٌ خَمسٌ أو سِتٌّ فطفقنَ يزدَلِفنَ إليهِ -أي يقتربنَّ- بأيَّتِهِنَّ يبدَأُ فلمَّا وجبَت جُنوبُها قالَ فتَكَلَّمَ بِكَلمةٍ خفيَّةٍ لم أفْهَمها فقلتُ ما قالَ قالَ مَن شاءَ اقتَطَعَ. أبو داود.

وفيه : محبةُ العجماواتِ للنبيِّ ﷺومحبةُ الموتِ من يده الشريفةِ ﷺ . فكيف بمحبتِكَ أنت لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟

وفي حديثِ جابرٍ رضي الله عنهما : فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا، فَنَحَرَ ما غَبَرَ...م.

وعن أنسٍ: لَمَّا رَمَى رَسولُ اللهِ ﷺ الجَمْرَةَ، وَنَحَرَ نُسُكَهُ، وَحَلَقَ؛ نَاوَلَ الحَالِقَ شِقَّهُ الأيْمَنَ، فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأنْصَارِيَّ فأعْطَاهُ إيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأيْسَرَ، فَقالَ: احْلِقْ، فَحَلَقَهُ، فأعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقالَ: اقْسِمْهُ بيْنَ النَّاسِ. م. وفيه: التَّبرُّكُ بشَعَرِه ﷺ و اقتِناؤُه. لكن هيهات لنا به .

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما : أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ إلى السِّقَايَةِ فَاسْتَسْقَى، فَقالَ العَبَّاسُ: يا فَضْلُ، اذْهَبْ إلى أُمِّكَ فَأْتِ رَسولَ اللَّهِ ﷺ وسلَّمَ بشَرَابٍ مِن عِندِهَا، فَقالَ: اسْقِنِي، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ، قالَ: اسْقِنِي، فَشَرِبَ منه، ثُمَّ أَتَى

زَمْزَمَ وهُمْ يَسْقُونَ ويَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقالَ: اعْمَلُوا فإنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ قالَ: لَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا لَنَزَلْتُ، حتَّى أَضَعَ الحَبْلَ علَى هذِه يَعْنِي: عَاتِقَهُ، وأَشَارَ إلى عَاتِقِهِ.خ.م

فهل رأيتَ تواضعاً أعظمَ من تواضعه عليه السلام...(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة..)

ثم صلوا ...